

الأقسام في القرآن

(38) التسليم القلبي، ولذلك ترى أنَّ أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) يصف الإسلام بالنحو التالي، ويقول: "لا نسبني" الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم". (1) وتشير الآية الثانية إلى أنَّه سبحانه قادر على أن يهلك المشركين ويأتي بقوم آخرين (خيراً منهم)، من دون أن يكون مغلوباً، قال: (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّ زُنْجَارَ لَقَادِرُونَ* عَلَى أَنْزِلِ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) . فجواب القسم قوله (إِنَّ زُنْجَارَ لَقَادِرُونَ) وقوله (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) عطف على جواب القسم، والمراد بالسبق الغلبة، أي وما نحن بمغلوبين ويمكن أن يكون سبق بمعناه والمراد: وما نحن بمسبوقين بفوت عقابنا إياهم فإنَّهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا. والتعبير بالمشرق والمغرب لاجل أنَّ للشمس في كل يوم من أيام السنة الشمسية مشرقاً ومغرباً لا تعود إليهما إلى مثل اليوم من السنة القابلة، كما أنَّه من المحتمل أن يكون المراد بها مشارق جميع النجوم ومغاربها. ومن عجيب الأمر أنَّ في الآية على قصرها وجوهاً من الالتفات. ففي قوله: (فَلَا أُقْسِمُ) الالتفات من التكلم مع الغير الوارد في قوله: (إِنَّ زُنْجَارَ لَقَادِرُونَ) إلى التكلم وحده، والوجه فيه تأكيد القسم باسناده إلى الله نفسه. وفي قوله: (بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) الالتفات من التكلم وحده إلى الغيبة، والوجه فيه الإشارة إلى صفة من صفاته تعالى هي المبدأ في خلق الناس جيلاً بعد جيل، وهي ربوبيته للمشرق والمغرب، فإنَّ الشروق بعد الشروق، والغروب بعد الغروب، يلزم مرور الزمان الذي له مدخلية تامة في تكوُّن الإنسان _____ 1 - نهج البلاغة: قسم الحكم، الحكمة 125.